



ديداكتيك الجغرافيا: من ديداكتيك المادة إلى ديداكتيك وظيفية

د. مولاي المصطفى البرجاوي

تظل ديداكتيك الجغرافيا من المفاهيم التي تطور نفسها تبعا للتطور المعرفي من جهة والخلاف بين الديداكتيكيين من جهة ثانية. إذ « تعكس تحولات وتضارب الرؤى بين المدارس الجغرافية الجامعية؛ من خلال تفضيل الديداكتيكيون لهذا المدخل أو ذاك. لكن في المجمل يرتبطون بأهداف موحدة، كاشتغالهم على مواضيع منهجية

أولا: في ماهية الديداكتيك:

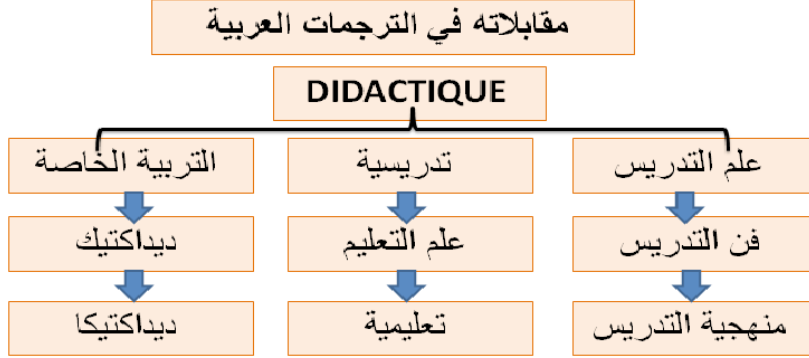
قبل الحديث عن مفهوم ديداكتيك الجغرافيا، يكون من الأفضل التطرق إلى مصطلح الديداكتيك:

أ- المعنى اللغوي:

الديداكتيكا لفظ قديم، أصله من الكلمة اليونانية DIDAKTIKOS، وتعني كل ما يختص بالتدريس أو التعليم، ومنها فعل DIDASKEIN، ويعني علم ودرّس ولقّن، ومن هذه المادة اللغوية اشتقت اللاتينية لفظ DOCEO و DISCIPULUS، ومعناها التخصص DISCIPLINE، ومن هذه المادة أيضا لفظ DOCILE، ويطلق على الشخص القابل للتعلم والقادر عليه:



مفهوم الـديداكتيك



ب- المعنى الاصطلاحي:

يعدُّ الـديداكتيك استراتيجية تعليمية، بمعنى أنه خطة ترمي إلى تحقيق أهداف تعليمية، وتواجه هذه الإستراتيجية مشكلات المتعلم؛ وذلك عن طريق التفكير في هذا الأخير؛ لهدف تسهيل عملية تعلمه، الشيء الذي لا يُمكن أن يتم إلا باستحضار حاجيات التلميذ، وتحديد الطريقة المناسبة لتعلمه، وتحضير الأدوات الضرورية والمساعدة على ذلك.

يقول «فولكيي» (foulquié) إن الـديداكتيك هي كل ما يعنى بالتدريس. فهي فن أو تقنية التدريس، ويعني ذلك أنها تهتم أيضا بطرق التدريس. وانطلاقا من التعريف يمكن التمييز بين الـديداكتيك العامة الـديداكتيك الخاصة:

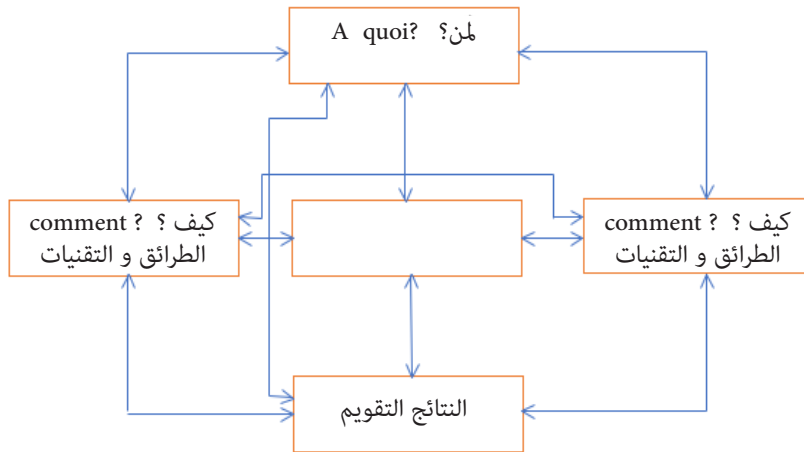
- الـديداكتيك العامة (Didactique générale): تهتم بكل ما يجمع بين مختلف مواد التدريس أو التكوين وذلك على مستوى الطرق. فالطريقة الإلقائية التقليدية والطريقة الحوارية والتعليم المشترك والأشغال التطبيقية أو الموجهة الفردية منها والجماعية... وكذلك الأمر بالنسبة لمختلف التدريس كالكتاب المدرسي ودليل الأستاذ ودليل التلميذ والوسائل السمعية البصرية والمعلوماتية (informatiques) وباقي وسائل الإيضاح والمساعدة على التعلم، التي تشترك جل المواد في تداولها واستغلالها فعندما نتحدث مثلا عن التعليم المبرمج (l'enseignement programmé) أو التعليم المعتمد على الحاسوب (l'enseignement)



بالديداكتيكا العامة. (assisté par ordinateur) وفوائدهما التربوية بصفة عامة فإننا نعمل داخل المجال المعروف

كما تعني الديداكتيك العامة الدراسة العلمية، لكن ليس على مستوى الأهداف بل على مستوى الأغراض. فالديداكتيك العامة تحاول أن تجيب في دراستها على الأسئلة التالية:

- لماذا تدريس هذه المادة وما هو وضعها بين المواد الأخرى؟
 - ماهو مضمونها؟
 - لمن هي موجهة؟ (خاصة المتعلمين)
 - كيف يمكن تدريسها؟ (الطرائق والتقنيات)
 - ما هي النتائج المحصل عليها؟ (التقويم)
- والرسم التالي يلخص مضمون الديداكتيك العامة:





- الديدائكتيك الخاصة (Didactique spécifique): فينحصر مجالها داخل كل مادة من مواد التدريس أو التكوين. ففي مجال الاجتماعيات مثلا؛ تهتم بتدريس وتعلم التاريخ والجغرافيا والتربية على المواطنة. في الجغرافيا تهتم الديدائكتيك الخاصة بتقنيات رسم وتحليل الخرائط وتفسير توزيع المعطيات الاقتصادية في المجال الجغرافي وتأويلها، كما أنها تهتم بتحليل النصوص الجغرافية ومعالجة الصور والجداول الإحصائية...أما التاريخ؛ وإن كان يشترك مع الجغرافيا في توظيف الخريطة إلا أن معالجتها يتم زمنيا على ضوء الأحداث التاريخية مع معالجة الوثائق التاريخية بمختلف أنواعها للتعريف بالحدث التاريخي وتفسيره.. في حين أن التربية على المواطنة تركز على إكساب المتعلم مجموعة من المفاهيم المرتبطة بقيم المواطنة وكيفية تمثيلها سلوكا وممارسة في إطار ما يسمى بدورة التعلم.

ج - ديدائكتيك الجغرافيا.. وتنوع الرؤى والتصورات:

ونظراً لتنوع تعاريف الديدائكتيك، و نظراً أيضاً لحدثة المفهوم، فقد أدى ذلك إلى تباين التعاريف المرتبطة بديدائكتيك الجغرافيا؛ ومن أهم التعريفات في هذا المضمار:

تعريف «بونوا روبير» (Benoît Robert) يقول: «ربما ليس من السهل حالياً تحقيق إجماع حول تعريف لديدائكتيك الجغرافيا، وليس ذلك ضرورياً إطلاقاً؛ لأنه في نظرنا ما زلنا في بداية تفكير أبستمولوجي يخص كلاً من الديدائكتيك العامة والديدائكتيك الخاصة؛ مما يعني وجود مساحة لوجهات نظر مختلفة و مهتمة بالمشاكل المرتبطة بنشر المعرفة الجغرافية، تطرح - ضمناً أو تصريحاً) كل إشكالية ديدائكتيك الجغرافية، بالنسبة للبعض كل ديدائكتيك (خاصة) يمكن أن تُعرف كبيداغوجية مادة تدريس، وبالنسبة للبعض الآخر (الأنغلو - ساكسون) تصبح ديدائكتيك الجغرافية مرادفاً لطرق تدريس الجغرافية - (GeographyTeachingMethods)؛ وما يُهمُّهم أكثر هو الجانب العملي للفعل التعليمي».

و بالنسبة لطرق أو تقنيات التدريس (TeachingMethods) تشكل مجالاً، ومجالاً مهمًّا من ديدائكتيك الجغرافيا»¹.

تعريف «ديبلانك» (Desplanques P) يقصد بها طريقة ومنهجية التحليل بالانتقال من المعرفة الجامعية والمُجتمعية إلى المعرفة المدرسية(النقل الديدائكتيكي)، وهذه الطريقة ترتب

1 - Benoît Robert: Pour une nouvelle conception de la didactique de la géographie, Cahiers de géographie du Québec, vol. 14, n° 31, 1970, p. 95-99.



- بنفس المنطق - بالعناصر الناتجة عن التجارب البيداغوجية والمفاهيم والطرق والمعارف المؤسسة للجغرافيا.

فالديداكتيك: سيرورة / سلسلة من العمليات الفكرية التي تهتم في تطورها بواقع الفصل الدراسي والمتعلمين، وذلك في ضوء المعرفة الجغرافية الأكثر متانة وصلابة، والعمل الديداكتيكي يتطلب باستمرار عدم إغفال مجالين في التحليل، هما:

التفكير في المعرفة الجغرافية؛ من حيث التساؤل حول شرعيتها العلمية، وحول ميدان تطبيقها، أو حول إعادة بناء المعرفة الجغرافية من أجل التلاميذ (النقل الديداكتيكي)، ويهدف ذلك إلى:

- تحديد العناصر الأساسية التي تكون أساس المعرفة الجغرافية.
- تحديد المعارف والمفاهيم التي يجب تدريسها، وذلك حسب قدرة التلاميذ على تعلمها واكتسابها.
- تحديد وتقييم العوائق الفكرية التي يجب تخطيها أثناء اكتساب المعرفة الجغرافية من طرف التلاميذ.
- التحقق من الطرق المتبعة في التقويم.
- ربط العلاقات مع باقي المواد الدراسية في مستوى معين.

وفي هذا الاتجاه، ينبغي توخي الحذر بخصوص الخلط الذي يقع بين البيداغوجيا والديداكتيك؛ فالبيداغوجيا تمثل مجموعة من الممارسات والأنشطة والتقنيات المرتبطة بالعملية التعليمية - التعلمية داخل الفصل الدراسي، في حين الديداكتيك تتعدّد بتعدّد مجالات المعرفة².

تعريف «إيف أندري» (Yves Andrés): ديديكتيك الجغرافيا جملة من التقنيات التي تُيسّر تنظيم وتسهيل عملية تدريس الجغرافيا، ويحتلُّ المُدرِّس قطب الرّحى في هذه العملية؛ فهو الضامن لنجاحها، وبهذا يعدُّ رُكنًا ركينًا في سيرورة العمل الديداكتيكي، ويُضيف «أندري» أن نجاح ديديكتيك الجغرافيا رهينٌ باهتمامها بالجوانب الأساسية للمادة التعليمية، الجانب

2 -Desplanques PM: la didactique de la géographie , Armand colin, Paris- l'information géographique 1991/ N2 ?, p 45-48.



المتعلِّق بالأبحاث الجامعية النظرية أو التطبيقية، والجانب المتعلِّق بالمُدْرَسِين، وكذا بالجانب المتعلِّق بالتلاميذ³.

تعريف «لورانس كورني» (Laurence Cornu): ترى أن ديداكتيك الجغرافيا تَعكس تحولات واختلافات المدارس الجغرافيا الجامعية؛ إذ تُركِّز على الجانب المنهجي⁴.

من خلال التعاريف السابقة، نَسْتَشْفُ أنديداكتيك الجغرافيا ، بالرغم من هذا التنوع الحدِّي؛ فهي عبارة عن مجموعة من الطرائق المتنوعة والأساليب النشيطة والتقنيات الموظفة في سيرورة العملية التعليمية- التعلمية لتدريس الجغرافيا باستحضار الجوانب المنهجية: الوصف والتحليل والتفسير والتركيب من جهة، والجوانب البيداغوجية الخاصة بخصائص المتعلم والمدرس و المفاهيم والمعارف الجغرافية من جهة ثانية والأدوات والتقنيات التي توظفها الجغرافية المدرسية (الخرائط، والنصوص الجغرافية ، والصور والجداول والمبيانات...).

ثالثا: ديداكتيك الجغرافيا نحو ديداكتيك وظيفية:

إذا قلنا بأن ديداكتيك الجغرافيا ركزت على النقل الديداكتيكي للمعارف الجامعية، ونقلها إلى المعارف الجغرافية المدرسية من خلال سيرورة تعليمية - تعلمية، يشارك فيها الأقطاب الثلاثة: القطب الأَبْستمولوجي(المعرفة الجغرافية)، والقطب الديداكتيكي (المدرِّس)، والقطب السيكلوجي (المتعلِّم). فإنها لا تظهر فعاليتها إلا بربط المتعلم بمحيطه اليومي والواقعي في إطار ما يسمى بالديداكتيك الوظيفية (La didactique fonctionnelle).

في هذا السياق؛ لا يمكن للجغرافية المدرسية أن تظهر نفعيتها وأهميتها وفائدتها إلا من خلال ربط المتعلم بحياته اليومية، وربطه أيضا بحاجاته وربط بالتحولات والتطورات العلمية والتكنولوجية:

- ربط تدريس الجغرافيا بالمجتمع: لقد انتبهت سوسولوجية التربية إلى الوظيفية منذ عهد بعيد، من الدعوة إلى تحفيز المتعلم على البحث واكتشاف الحقائق بنفسه، بالتركيز على

3- Yves André, Didactique de la géographie in encyclopédie de la géographie sous la direction de A.Bailly et autres , édition economica.

4- Laurence Cornu , Alain Vernous(1992):la Didactique en questions , centre Nationale de documentation pédagogique, Hachette édition , p 94.



ربط المدرسة بالحياة والجمع بين الجوانب النظرية والتطبيقية⁵، وتقويم المعرفة الجغرافية في الحياة العملية (الأنشطة التطبيقية). وهذا ما أكد عليه الميثاق الوطني للتربية والتكوين في إصراره على جعل المدرسة المغربية الجديدة « مفتوحة على محيطها بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة، والخروج منها إليه بكل ما يعود بالنفع على الوطن، مما يتطلب نسج علاقات جديدة بين المدرسة وفضاءها البيئي والمجتمعي والثقافي والاقتصادي»⁶.

في سياق هذا التوجه؛ أكد منهاج التاريخ والجغرافيا والتربية على المواطنة على جعل « تلك المواد -بما فيها الجغرافيا- تلعب دورا حاسما في التكوين الفكري والمدني للمتعلمين بجعلهم يطورون من خلال هيكلية تمثلهم للزمن والمجال وإدراكهم للحقوق والمؤسسات، ذكاء اجتماعيا يساعدهم في حياتهم اليومية، الشخصية، المهنية، والاجتماعية».

من هنا يظهر؛ أن توجهات كل من الميثاق الوطني للتربية والتكوين ومنهاج الجغرافيا، جاء بتوصيات وتوجيهات، يمكنها أن تنقل الممارسة الديدانكتيكية من الطابع التقليدي الروتيني إلى مستوى الوظيفية، لكن يبقى تضافر الجهود، إن على مستوى دعم الدولة، أو على مستوى تكوين المدرسين، أو على مستوى المتعلم أو على مستوى دعم الشركاء الاجتماعيين.

وإذا كان منهاج الجغرافيا يؤكد على ضرورة الاحتكاك المباشر بالظواهر المجالية، والتفاعل معها تفاعلا مباشرا لتحقيق التعلم الفاعل والمنتج أو ما يسمى بالتعلم الوظيفي (apprentissage fonctionnelle). فالبيئة المحلية تعد المعمل التعليمي-التعلمي الحقيقي؛ الذي ينبغي أن يفتح عليه تدريس الجغرافيا؛ لتيسير خبرات مباشرة واكسابهم معلومات وتعلمات يكون من الصعب إدراكها من خلال الكتاب المدرسي، والممارسة الديدانكتيكية الصفية.

ومعنى ذلك أنه لا بد من إتاحة الفرص للتعرف على مشكلات البيئة التي يعيش فيها المتعلم، وعندما يخرج المتعلمين، في إطار خرجة دراسية، للاتصال بالبيئة المحلية ودراستها والتعلم عن طريقها والمشاركة في أنشطتها - ينبغي أن يكون ذلك كله في إطار ما يهدف إليه المنهاج- يكسب التعلم بعدا وظيفيا ومعنى (sens). لكن للأسف، الأطر المرجعية للمادة الدراسية وأشكال التقويم المتبعة وإكراهات الاكتظاظ الدراسي وغياب اللوجستيك المدرسي،

5- الحيداوي لحسن (2004-2005): المقاربة الوظيفية في ديدانكتيك الجغرافيا (مرحلة التعليم الثانوي الإعدادي نموذجا)، أطروحة لنيل الدكتوراه في منهجية تدريس الجغرافيا، كلية علوم التربية - الرباط- المغرب، ص ص: 107-106.

6- اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين (أكتوبر 1999): الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص 11.



يجعل من الصعب تطبيقها في المنهاج الدراسي. وإن تمت بعض المبادرات فهي اجتهادات شخصية ومغامرة في بعض الأحيان!

- ربط تدريس الجغرافيا بحاجات المتعلم: أثبتت بحوث عديدة أن لا سلوك دون حاجة تكمن خلفه تحدد له الأهداف التي يرمي إليه المتعلم، أي أنه حينما يشعر بعدم الانتماء فإنه ينشط ويبحث عن الإطار الذي يمكن أن يشبع فيه تلك الحاجة⁷.

ويؤكد «بياجي» في نظريته السيكلوجية القائمة على مفهوم التكيف وانعدام التكيف مع المحيط ما يلي: «إن كل سلوك يصدر عن الكائن الحي، يستجيب لحاجة. فالطفل، شأنه في ذلك شأن الكهل، لا يقوم بأي عمل إلا إذا حركته حاجة نابغة عن ذاته. والحاجة دائما هي المؤشر الخارجي لانعدام التكيف: فنحن نتكلم عن حاجة عندما يتغير شيء ما فينا يجعلنا نكيف سلوكنا في ضوء هذا التغير...ويمكن أن نقول بصفة عامة؛ إن كل سلوك جديد لا يعدو أن يكون نشاطا يهدف إلى إعادة تكيف الفرد مع محيطه بل وإلى الارتقاء بهذا التكيف إلى مستوى أحسن من التكيف السابق»⁸.

وفي ضوء الرهانات التربوية والديداكتيكية للجغرافية المدرسية وفق ما جاء في الميثاق والمنهاج، جاء التأكيد على ثلاث وظائف أساسية: التعليم والتنشئة والتأهيل، وهذه الوظيفة الأخيرة، لا يمكن بلوغها وتحقيق أهدافها دون تدريس وظيفي يستحضر حاجة واهتمام المتعلم. «ولكي نحث أي فرد على القيام بعمل، يجب أن نهئى له شروطا كفيلا بأن تثير لديه حاجة تستجيب لها وظيفة العمل المرغوب إنجازه»⁹.

إن ما يقدم للمتعلمين من معلومات ومعارف ومهارات جغرافية بطريقة جافة لا تثير فيه الاهتمام والحماس، دون استحضار ميولاتهم، فيقبلونها على علاتها لاجتياز الامتحانات، سرعان ما تتلاشى، لأنها لا تجذب انتباههم ولا تثير تفكيرهم. فالميل يؤدي إلى اكتساب مهارات جغرافية بالغة الأهمية في حياة المتعلم.

7- أحمد حسين اللقاني وبرنس أحمد رضوان (1986): تدريس المواد الاجتماعية، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، القاهرة، ص 46.

8- شبشوب أحمد، 1997، مدخل إلى الديداكتيك: الديداكتيك العامة، منشورات رمسيس، الرباط، ص 66.
9- MINDER , Michel : 1983, didactique fonctionnelle : objectifs, stratégies, évaluation, 3éme édition, p120



هنا، ينبغي في مراجعة منهاج الجغرافيا الجديد، استحضار حاجات واهتمامات وميول المتعلمين، ويمكن بهذه المناسبة، توظيف تقرير تقييم مكتسبات المتعلمين في مادة الاجتماعيات الذي أنجزه المجلس الأعلى للتربية والتكوين خلال الموسم الدراسي 2015-2016.

- ربط تدريس الجغرافيا بالتطورات العلمية والتكنولوجية: يمثل إعداد وتكوين مدرس الجغرافيا وتدريبه على توظيف تكنولوجيا المعلومات؛ كأحد الوسائل الأساسية الراهنة التي تساهم في إثراء التعلم الجغرافي لدى المتعلم، بل ترغبه في المادة الدراسية، بحكم أنها مواكبة لكل المستجدات والمستحدثات.

لهذا ينبغي توظيفها في المواقف التعليمية الجغرافية والتعامل معها بشكل إيجابي، وأساليب تفعيل دور الوسائل التعليمية (الكومبيوتر، والانترنت، والمواد السمعية البصرية والبرامج الالكترونية مثل Map info، وGoogle Earth...) في تلك المواقف وإثرائها بالوسائل التربوية والديداكتيكية اللازمة .

عموما؛ «فالمتعلمين يفشلون ولا يرغبون في التعلم لأن المعارف (الجغرافية) التي نقترحها عليهم تكون بعيدة كل البعد عن تجربتهم اليومية للحياة»¹⁰، بل يغلب عليها في بعض الأحيان طابع التجريد والتقييد وكثرة المعلومات المتداخلة وغير مبنية بطريقة علمية.

نخلص أنه ؛ إذا كان ديداكتيك مادة الجغرافيا، قد اهتمت بإكساب المتعلم المعارف الجغرافية وبعض المهارات العقلية والحس حركية، فإن الديداكتيك الوظيفية للجغرافية، تهتم بإعداد المتعلم للانخراط في الحياة اليومية والعملية، والمشاركة بل المساهمة فيها بفعالية. أي أن تكون المعارف والمهارات الجغرافية ذات وظيفة في حياة المتعلم، بحيث يشعر بأهميتها فيقبل على تعلمها وإتقانها. وأن يتعلم في المجال البيئي القريب منه بين الفينة والأخرى، دون التركيز بشكل كلي على الفصول الدراسية والتفوق فيها، وأن يكون منهاج الجغرافيا مناسبا لمستوى إدراك المتعلم الفكري والاجتماعي والنفسي والتقني.

10- J rardCLERGUE , 1997, l'apprentissage de la complexit , Editions HERMES, Paris, p21.